المنتج النقدي للدكتور الهويمل

بقلم: د . أحمد بن صالح الطامي•

شكل النقد الأدبي المحور الرئيس الذي تدور حوله كتابات د/ حسن بن فهد الهويمل الأدبية، وكان، كذلك، المنطلق الرئيس الذي نبعت منه كتاباته الثقافية. وتركزت كتابات الهويمل النقدية حول الشعر بأشكاله ومضامينه، والشعر الحديث خاصة بكل تحولاته وقضاياه ومعاركه وإشكالاته.

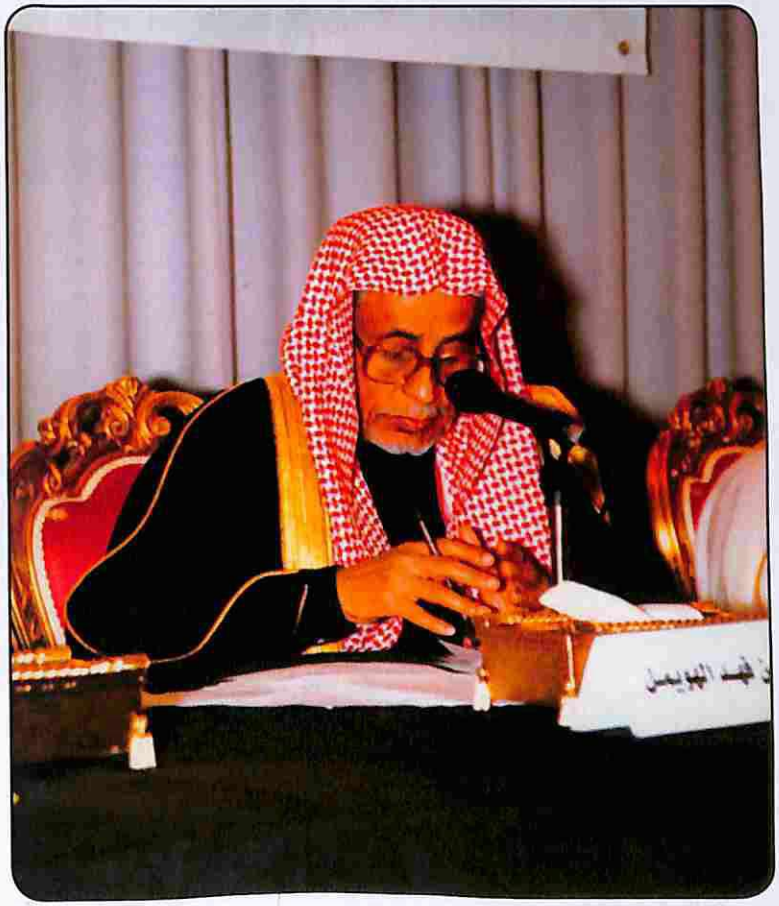

ولا يعني هذا أن الإبداع النقدي وقضاياه لم يكن لها نصيب من كتابات الهويمل، فقد تناول بعض أجناس الإبداع النقدي وخاصة الرواية، ولكن كمّ الكتابات التي كتبها في هذا المجال ضئيلة مقارنة بما كتبه عن الشعر ونقده. ويمكن تصنيف المنتج النقدي للهويمل في أربعة مجالات :

◁◁ دراسات الهويمل في تاريخ الأدب العربي السعودي

والأدب في المملكة يشكل همّاً رئيساً من هموم الهويمل إن لم يكن الهمّ الرئيس في كتاباته النقدية. وكتابه (اتجاهات الشعر المعاصر في نجد) الذي صدر عام ١٤٠٤هـ، هو أول كتبه النقدية، ومن هذا الكتاب - الذي كان في أصله أطروحة الماجستير - تتفتح معالم واتجاهات النقد لديه. والكتاب تأريخ للحركة الشعرية في نجد في العهد السعودي الحديث، أي منذ بداية عصر جلالة الملك عبد العزيز رحمه

• رئيس النادي الأدبي في القصيم.

الله. وهو دراسة تأريخية استقرائية للحركة الشعرية في نجد منذ مطلع القرن الرابع عشر الهجري وحتى نهايته تقريباً.

بنى المؤلف الكتاب على أساس المذاهب الشعرية التي تبناها الشعراء في نجد خلال ذلك القرن، متمثلة في الاتجاه الإحيائي المحافظ (وهو ما يسميه الهويمل الاتجاه الكلاسيكي الإبداعي) وهي تسمية ليست دقيقة، فصفة(الإبداعية) أقرب إلى الاتجاه الرومانسي، ثم يأتي الاتجاه الرومانسي الذي يطلق عليه الهويمل الإبداعي، ثم الاتجاه الرمزي، ثم الواقعي، ثم الإسلامي.

إن الكتاب جهد علمي لرصد الحركة الشعرية في وسط المملكة العربية السعودية منذ بداية نهضته الحديثة وحتى نهاية القرن الرابع عشر الهجري، وفي هذا الكتاب تظهر بجلاء معالم شخصية الهويمل النقدية ومواقفه تجاه الحركات الشعرية بكافة تقلباتها وأطيافها.

فرغم أن الكتاب دراسة علمية موضوعية، إلا أنه لم يخف آراءه الشخصية، وذوقه الشعري في تناوله لاتجاهات الشعر في نجد. فالمؤلف يحتفي بالشعراء الإحيائيين (الذين يسميهم أصحاب الاتجاه الكلاسيكي الإبداعي)، ويشبه فحولتهم الشعرية بالجاهليين كما فعل مع (ابن عثيمين) الذي ألحقه بمدرسة (زهير بن أبي سلمى)، وفي الوقت نفسه يصفه بالتقليد، ويصف الاتجاه الكلاسيكي بالإبداعي، رغم أن كلمة (كلاسيكية) مصطلح غربي يحمل من الدلالات والإيحاءات مالا ينطبق بالضرورة على الأدب العربي في مرحلته الإحيائية سواء في المملكة أو

■ يقرر الهويمل أن الأدب الإسلامي مصطلح حديث اقتضاه ظهور تيارات الفكر المتضاربة في العصر الحديث.

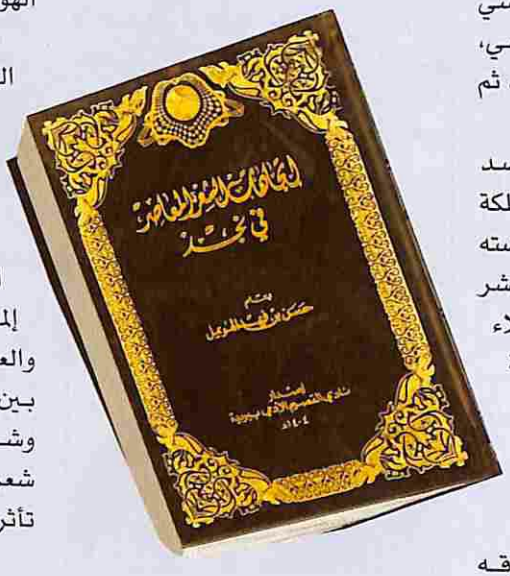

غيرها من بقاع الوطن العربي. ولذلك فأنا أؤثر أن نطلق عليها (الإحيائية) لأنها في الواقع إحياء للحركة الشعرية بترسّم خطى الشعر العربي إبان فترة توهجه وازدهاره من العصر الجاهلي حتى العباسي.

ويتضح احتفاء المؤلف بالإحيائيين في إسهابه في الحديث عنهم وخاصة الشعراء (محمد بن عثيمين، ومحمد ابن بليهد، وسليمان بن سحمان). وتحدث المؤلف في الكتاب عن الاتجاه (الرومانتيكي) لدى شعراء نجد الذي ظهر بشكل قوي في الشعر السعودي في الثمانينيات من القرن الهجري الماضي، وقد كانت دراسته لهذا الاتجاه عميقة استطاع من خلالها إبراز معالم هذا الاتجاه الشعري التجديدي، ولكنه ظل وفياً للقصائد الملتزمة بالأوزان الشعرية التقليدية، والتي رأى فيها اكتمال الجرس الموسيقي وتوافقه مع ذوق الأذن العربية التي تطرب للشعر الموزون والمقفى أكثر من طربها لأي شكل شعري جديد، حسب ما يرى الهويمل.

ومثل ذلك فعل في دراسته للاتجاه الواقعي، فالاتجاه الوطني والقومي والشعر السياسي، والاتجاه الإسلامي.

لقد أجاد الهويمل في استقرائه لهذا الاتجاه في هذه البقعة من بلادنا، وظهر جلياً إلمامه بالمنتج الشعري السعودي والعربي. فقد حلل النصوص، ووازن بين الشعراء، وبيّن ما بين شعرائنا وشعراء العربية المعاصرين لهم أو شعراء العربية الأقدمين من علاقات تأثر وتأثير وتشابه ومفارقة ومقاربة.

كان النص الشعري حاضراً في كل حكم يطلقه، وكانت أحكامه تتصف بالقطعية والقناعة والثقة، وتصدر عن رؤية محدّدة ومفهوم واضح للشعر وأحكامه ونقده ورسالته.

ولكن هذا الاحتفاء يخبو بشكل واضح عند حديثه عن الاتجاه الرمزي، وخاصة الرمزية الحديثة المتأثرة بالمذهب الرمزي الغربي. والهويمل يرى أن الرمزية (نبتة عربية خالصة) (ص٢٧٢). لكن الشعر الرمزي أصبح (غربياً في شكله ومضمونه وأنكره الغيورون على لغتهم وأدبهم) (ص٢٧٢). ويحاول الناقد أن يحدّد الرمزية في

الشعر العربي ومفهومها الغربي، مؤكداً أن (الرمز الذي عرفه الأدب والشعر العربي القديم لم يكن هو الرمز الذي نشهده الآن ونعايشه في آدابنا العربية) (ص٢٧٥)، الذي يتهمه الهويمل بالتقليد، وبالإسراف في ممارسة التجارب عبر شعر لا يلتزم وزناً ولا قافية وهو ما يراه هبوطاً بالشعر العربي، لأن الفنّان يستمدّ قوّته الفنية الآسرة من الفن بأغلاله وقيوده (ص٢٧٨)، والرمز المقبول عند الهويمل هو الذي يتكامل في إطار فني رفيع بهدف الرغبة في عدم الإفصاح لأي سبب (ص٢٧٩). وخفوت الموسيقى في شعر الرمزيين أحال الشعر - كما يرى الهويمل - إلى (شكل مملول تمجه الأذواق، وترفضه الأفكار، وتعافه الأنفس) (ص٢٨٥).

وفي هذا الكتاب يتضح عدم تقبله لشعر التفعيلة وقصيدة النثر، فهو لا يجد جرساً موسيقياً في شعر التفعيلة، ويرى في هذا الشكل الشعري (قوالب جديدة يرفضها الذوق العربي) (ص٢٣٨). ويظل شعر التفعيلة شكلاً يسبب خللاً في القصيدة مهما كان المضمون قوياً، فشعر التفعيلة (لا يكفل تواجد النغمة الحلوة والإيقاع السليم الذي تنشده الأذن العربية ذات الذوق الرفيع) (ص٢٥٤) على حد تعبير الهويمل.

◁◁ الهويمل والنزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر:

وهو ما ذكره في كتابه الثاني (النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر- دراسة فنية وموضوعية)، وموضوعه يشكل قضية محورية جوهرية ظلت تشغل كتابات الهويمل النقدية وتلقي بظلالها على جميع أحكامه النقدية ورؤاه في الأدب وإبداعاته، ومذاهبه ، وتنظيراته، وهي قضية الأدب الإسلامي الذي عرف الهويمل بها، وعرفت به في بلادنا على الأقل.

والكتاب دراسة موضوعية واسعة للمضمون الإسلامي في الشعر العربي في المملكة منذ دخول الملك عبد العزيز رحمه الله الرياض، أي خلال القرن الرابع عشر الهجري، والكتاب - كسابقه - دراسة استقرائية وتحليلية للمضمون الإسلامي في الشعر السعودي المعاصر، ويقصد بالمعاصرة هنا المعاصرة الزمنية لا الفكرية، ويقصد بالنزعة الإسلامية المضمون الإسلامي في الشعر المتضمن

عبدالله بن خميس

لمقتضى إسلامي سواءً كان دينياً أم وطنياً أم اجتماعياً أم غير ذلك.

والكتاب يدخل في باب تأريخ الأدب، ولذلك سلك في تأليفه المنهج التقليدي في مثل هذه الدراسة: تمهيد عن الحياة السياسية والثقافية، موقف الإسلام من الشعر، مفهوم النزعة الإسلامية في الشعر وأهميتها، ضرورة الالتزام الإسلامي في الشعر (ليقوم في وجه التيارات الملحدة التي أخضعت الفنون لخدمتها وتضليل الناس) كما يقول الهويمل. ناقش أيضاً مهمة الشاعر بين شاعريته ومسؤوليته الإسلامية، ثم تعرض لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- وتأثيرها على الشعراء.

أما دراسة النصوص فقد تناولها من جانبين : الأول موضوعي يفصّل في الموضوعات الإسلامية التي تناولها الشعر السعودي بدءاً بالجانب العقدي مروراً بالشعائر الدينية، ثم المدائح النبوية، ثم القضايا السياسية، والوطنية، والاجتماعية، في استعراض شامل لهذه الموضوعات في الشعر السعودي يؤكد الجهد الذي بذله الناقد في استخراج هذه الموضوعات من بطون القصائد والدواوين بمنهج موضوعي شمل جميع الشعراء السعوديين على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم الشعرية. لقد كان المضمون الإسلامي ضالته في كل نص شعري، فكان يختار القصيدة، والمقطع، بل والبيت أو البيتين مادام ثمة مضمون إسلامي.

أما الدراسة النقدية فجاءت في الجانب الثاني من دراسته للنصوص، فقد تناولت اللغة والأسلوب: الكلمة المفردة، جرس اللفظ، بلاغة التركيب، الأسلوب الفصيح الرصين، الذي يمثله الشعراء (محمد بن عثيمين، وأحمد الغزاوي، وحسين سرحان، وعبد الله ابن خميس) وهو أسلوب اللغة العربية الذي يستمد تركيبه من لغة الشعر العربي القديم في أوج ازدهاره، ولديهم القدرة على استعمال الكلمات الفخمة والتركيب المتين.

كما تعرض لما يسميه (اللغة الواقعية) التي تخلّى أصحابها عن لغة الشعر القديم أو - كما يرى الهويمل - أخفقوا في اقتناص المفردة الملائمة، ولم ترتبط ثقافتهم بالتراث رغم ثراء خيالهم وصورهم وبراعة تصميمهم، ويمثل هؤلاء (حسن القرشي، وطاهر

الزمخشري، ومحمد حسن فقي، وعبد الرحمن رفه، وعبد الله بن إدريس، وحسين عرب، وعبد الله بلخير، وغيرهم كثير). وكان تحليله، وأحكامه تنبني على أساس من النصوص، كما أنه احتفظ لكل شاعر بتفرّده وخصوصيته الشعرية. وناقش بعض الظواهر الأسلوبية كظاهرة التكرار بكافة أشكالها: تكرار اللفظ، وتكرار العبارة، وتكرار الأسماء، وتكرار الأدوات، وتكرار المعاني،، وأسباب هذا التكرار عند الشعراء.

ومن الظواهر المهمة في الشعر السعودي ناقش ظاهرة الغموض التي رأى الهويمل أن (ظهورها عند الشعراء الشباب يستدعي الوقوف على مبلغهم منها، ومبلغها في أزمة التعبير، واستكناه غموض التعبير والتفكير، وحجم إضافته في إثراء وعمق المضمون الإسلامي) كما يقول الهويمل (ص٥١٥). كما يرى أن استشراءها(أفضى بالعطاء إلى متاهات رسخت مفهوم التخلّي عن مهمات تقع في صميم المسؤولية الفنية... هذا التخلي المريب - كما يرى الهويمل - يستدعي الحزم للحيلولة دون سقوط الشعر في بؤرة التعتيم والإبهام) (ص٥١٥). وهو في هذه الظاهرة يقف موقفاً وسطاً، فهو مع الشعر الإيحائي، مع الغموض الذي لا يتيه في صحراء الإبهام والحجب، ولا ينبئ عن عجز في فهم الدلالات اللغوية، وإقامة العلاقات الصحيحة بين الأشياء (ص٥١٥). فالعمل عند الهويمل بداية اتصال، والقصيدة يجب أن تتيح فرصة للفهم وتُمكن من توصيل الرؤية، وما لم تفعل القصيدة ذلك فليست عملاً فنياً. ومسؤولية الشاعر الأولى عنده هي التوصيل والتأثير

■ صال الهويمل وجال في مقارعة الحداثة التي يراها جسما غريبا تسلل إلى كياناتنا الأدبية.

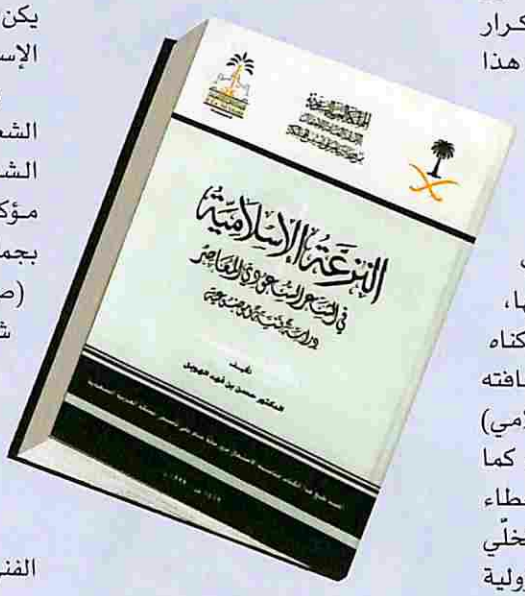

والإمتاع، (وبين الإبهام والتمنّع تبدو براعة الشاعر وأصالته، ومهمة النقد تجلية «الحد الفاصل بين القصيدة المسطحة والقصيدة المغلقة» وما لم يتمكن الشاعر من انتزاع الاستجابة بإتاحة الفرصة لإدراك مراميه فإن العملية الإبداعية تبوء بالإخفاق) كما يؤكد الهويمل (ص٥١٦ - ٥١٧).

تناول هذا الكتاب ظواهر التجديد الشكلي الموسيقي في الشعر السعودي وزناً وقافية. وظل على موقفه من الاحتفاء بالشكل العروضي التقليدي الملتزم بالبحور الشعرية المعروفة، أو بعمود الشعر العربي، ولكنه يتقبل بحذر شعر التفعيلة، ويرفض قصيدة النثر كما سنشير إليه لاحقاً في هذه الورقة إن شاء الله.

فالشعر الخليلي - من وجهة نظره - لا يمكن مساواة فعاليته في تجلية القضايا الإسلامية بشعر التفعيلة الذي تحمّل (شطراً من عبء الالتزام الإسلامي وجاءت مشاطرته مؤثرة) (ص٥٤٢). لكن الهويمل يعود ليؤكد أن شعر التفعيلة (لم يكن في مستوى القديم في حمل المضمون الإسلامي) (ص٥٤٥).

وفي دراسته النقدية للنصوص الشعرية تناول بالنقد والتحليل الصور الشعرية عند المحافظين والمجدّدين، مؤكداً على (الصورة الموحية المؤثرة بجمالياتها والتزامها المقتضى اللغوي) (ص٥٦٢) ورافضاً الصورة الشعرية عند شعراء قصيدة النثر خاصة التي تأتي (غامضة، مبهمة لبعد العلاقة بين الصورة والموقف مع خلق مضامين الكلمة ومدلولها) (ص٥٦٣)، وهو اتجاه يرى الهويمل أنه(لا يستحق النظر فيه لخروجه عن المقتضى الفني) (ص ٥٦٣).

وعرّج المؤلف في دراسته هذه على الشعر المسرحي، والأسلوب القصصي والملحمي في الشعر السعودي ذي المضامين الإسلامية.

والكتاب - بحق - جهد متميز اتصف بالشمول والاستقراء والتتبع لحركة الشعر العربي في المملكة خلال قرن كامل. ويمكن عدّه مصدراً من مصادر تاريخ الشعر في المملكة، فالكتاب ليس دراسة نصوصية محضة، بل هو تأريخي، ونقدي في آن.

لقد حرص المؤلف على شمولية دراسته فلم يترك شاعراً سعودياً إلا وأشار إليه. فالمضمون الإسلامي مضمون مشاع بين جميع الشعراء

السعوديين، والهمّ الإسلامي همٌّ رئيس من همومهم. فكان عليه استقراء المضمون الإسلامي في شعر الشعراء السعوديين على مدى قرن كامل، ففعل ذلك بقدرة الباحث المتمكن، لم يغفل شاعراً لأن شعره لا يستهويه، ولم يغفل اتجاهاً لأنه يتضاد مع قناعته ورؤيته، بل كان يوضح موقفه الذي يتفق أو يختلف فيه معه، ثم يتناول الشاعر وشعره. صحيح أنه يحتفي ويعلي من قدر الشعراء الذين يتفقون مع قناعاته وتوجّهه وخاصة المحافظين والمجدّدين المعتدلين. لكنه شمل بدراسته كل الشعراء بكافة نزعاتهم واتجاهاتهم رغم ما يبديه من تحفظ.

رؤية الهويمل في دراسة النصوص:

إذ كتب الهويمل عدة دراسات أبرزها كتابه المعنون (سعوديات ابن عثيمين) ، وهو دراسة لمدائح الشاعر محمد بن عثيمين في الملك عبد العزيز رحمه الله.

وكعادته في دراسته أو تناوله للنصوص، لا يلتزم منهجاً معيناً، إذ يوظف جميع قدراته المعرفية والذوقية والانطباعية لخدمة النص. والهويمل يرى أن اتخاذ منهج واحد في دراسة النص يعطل من قدرات الناقد، ويفوت عليه وعلى القارئ (لذة الاكتشاف) (ص١٤ـ١٥). والمذهب الواحد أو المنهج الواحد قد لا يسيطر على النص، وقد لا يسيطر الناقد على المنهج، فليس كل نص مؤهلاً لبعض المناهج والآليات، كما يرى.

ولذلك، تعامل مع نصوص الشاعر ابن عثيمين ممتطياً عدداً من الآليات والمناهج لمحاورة القصائد. فتارة يقف مع أسباب كتابة النص ومكوناته، وأحياناً مع النص في شكله ولغته ومجازاته وانحيازاته اللغوية وصوره وإيقاعه.

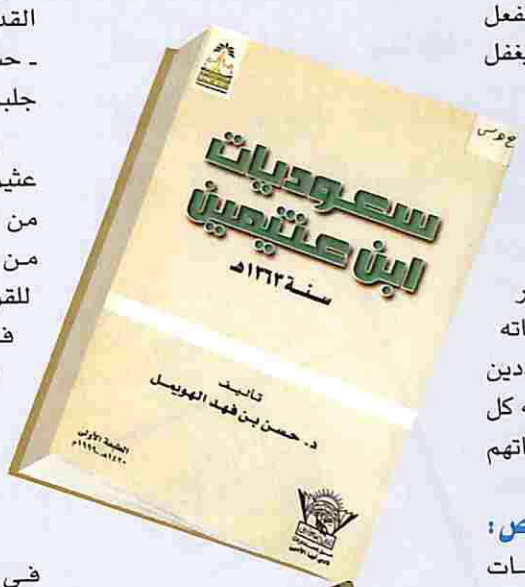

في هذه الدراسة يؤكد الناقد على أن ابن عثيمين ليس شاعراً مقلداً، بل محافظاً يمارس حقه في صياغة شعره وتشكيله، ولا يحق لأي ناقد (أن يؤاخذ مبدعاً لمجرّد التزامه بشكل قديم) (ص١٩). ولذلك يرى أن ابن عثيمين حين يُغرب في مفرداته وفي تراكيبه وفي صوره فإنه لا يتكلف ذلك، ولا يحتذي القدماء في مفرداتهم وتراكيبهم، لكنه - حسب ما يرى الهويمل - تناظر عفوي جلبه غزير المحفوظ.

ولم يخف الناقد إعجابه بشعر ابن عثيمين ودفاعه عنه من ملاحظات كثير من النقاد الذين رأوا في شعره الكثير من غرابة اللفظ وتكلفه واستعماله للقوالب الجاهزة، واحتذائه القدماء في طرائقهم الشعرية، بينما عدّه الناقد الهويمل (جيد البناء، وجيد الشكل، وبناؤه اللغوي متميّز، ونقاء لغته في المفردة والبناء واضح، ونسقه الأسلوبي لا معاظلة فيه) (ص٤٥)، (عفوي في إبداعه، دقيق في المواءمة بين لغته وواقعه، له لغته وأسلوبه المتميّز). وإعجابه بابن عثيمين يشمل إعجابه بشعر الإحيائيين والمحافظين عموماً الذين يظلّون في نظره مبدعين لا مقلدين، لكنهم محافظون على تقاليد الشعر العربي.

وهكذا يبدو في كثير من أحكامه، فحين يعجب بشاعر، وخاصة إذا كان محافظاً، يغرق في البحث عن مزاياه ومحاسنه ويستميت في دفع مآخذ النقاد الآخرين.

الهويمل في الإبداع التربوي:

وقد شرح ذلك في كتابه:(النص الإبداعي التربوي : إشكالية الاختيار والدرس) صدر عن كتاب مجلة (المعرفة) عام ١٤١٨هـ.

وهو كتاب يعالج اختيار النصوص الإبداعية لأغراض تعليمية تربوية، ناقش في الكتاب التوفيق بين إشكاليتين لا بد من المواءمة بينهما في

اختيار النصوص للمراحل التعليمية وهما : إشكالية الاختيار، وإشكالية الدرس. ويخلص الكتاب إلى توصيات مستنيرة تنم عن تجربة طويلة في اختيار النصوص بغرض تعليمي تربوي، وتضيء طريقاً لمن يكلفون باختيار النصوص في المراحل التعليمية.

◁◁ الهويمل في الفكر والأدب:

ومن كتبه في ذلك (في الفكر والأدب: دراسات وذكريات)، وهو مقالات ودراسات نشرت متناثرة في الصحف والمجلات، منها إحدى عشرة مقالة عن (الأدب السعودي)، واثنتا عشرة مقالة أخرى في مواضيع متفرقة عن (الأدب العربي).

وعبر مسيرته النقدية والكتابية كان للهويمل عدد من القضايا الأدبية التي تبناها في كتاباته وكتبه. وسأركز في هذه الورقة على أبرز ثلاث قضايا شغلت حيّزاً كبيراً من همّه وكتاباته.

- القضية الأولى : هي قضية (الأدب الإسلامي) :

لقد عُني الهويمل بمسألة المضمون من ناحية ومسؤولية المبدع من ناحية ثانية. فالمضمون عنده يجب ألا يخرج بأي حال من الأحوال عن مبادئ العقيدة الإسلامية، وأعراف المجتمع، وأخلاقياته، ومبادئه، وأنساقه التي توارثها عبر القرون. والأديب المبدع مسؤول مسؤولية كبرى تجاه الموهبة التي وهبه الله إياها. إنه يحمل رسالة الإبداع، وهي رسالة يرى الهويمل أن توجه دائماً نحو الخير والبناء.

والأدب الإسلامي - كما يراه الهويمل - هو أدب الكلم الطيب، والقول السديد. والأدب الملتزم بالفضيلة يظل أدباً، وحين يقع في الرذيلة يظل أدباً. ومصطلح (الأدب الإسلامي) مصطلح حديث،

■ يحتفي الهويمل بالشعر العمودي ويتقبل بحذر شعر التفعيلة ويرفض قصيدة النثر.

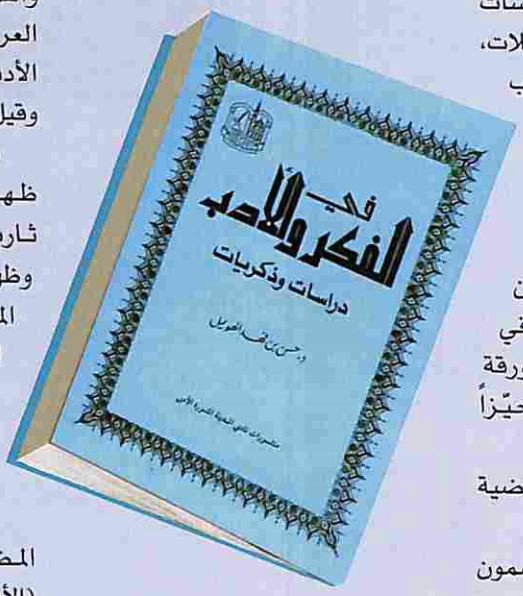

ومن هنا تصور المتلقي حديث المقتضى والمحتوى والشرط، وهو ليس كذلك، فالأدب الإسلامي بمقتضاه موجود منذ نزلت آية الشعراء. ولا يرى الهويمل تضاداً بين (الأدب العربي والأدب الإسلامي) فهما مختلفان اختلاف تنوع لا تضاد، وتنوع عموم وخصوص.

ويرى الهويمل أن مصطلح (الأدب الإسلامي) لم يظهر قديماً لأن الأدب العربي في صدر الإسلام (كان وعاء الفضيلة ومنطلق القيم الإسلامية لا يزاحمها ولا ينازعها إلا ماجن ذليل أو شعوبي حقير) على حدّ تعبيره. ولكن عندما سُيّس الأدب وأُدلج، وحُمّل الأدب ما لم يكن يحتمل من قبل، ولم يُترك للإمتاع والتسلية، أدلى الإسلاميون بدلوهم، ولزم اقتطاع جزء من مساحته الواسعة، كما تقتطع الأرض مسجداً من أرضٍ تسع المساجد والملاهي والحدائق والصحارى القاحلة والرياض الغناء.

ويؤيد الهويمل مشروعية مصطلح (الأدب الإسلامي) بمصطلحات شتى وُصف بها الأدب بقصد التخصيص والتميّز وتكثيف الأداء. فقيل الأدب العربي، والإنجليزي، والفرنسي، وقيل الأدب الأموي، والعباسي، والسعودي. وقيل الأدب الصوفي، والحداثي.

ويستغرب الهويمل أنه عندما ظهر مصطلح (الأدب الإسلامي) ثارت الثائرات، وأثيرت التساؤلات، وظهرت التحفظات، وافترضت الثنائية المتضادّة بحيث لا يكون بإزاء الأدب الإسلامي إلا أدب الكفر، وتلك ثنائية خاطئة. فبين الأدب العربي والأدب الإسلامي علاقة المطلق والمقيد. يظل (الأدب العربي) متسعاً لكل المضامين بما فيها المضمون الإسلامي، فيما يقتصر (الأدب الإسلامي) على ما يقتضيه الإسلام من قيم وأفكار وتصورات، ومن ثم تكون العلاقة بين الأدبين علاقة عموم وخصوص. يلتقي الأدبان في الأدبية ومقتضياتها، والشعرية ومتطلباتها، واللغوية وجمالياتها، ويفترقان في مشروعية المضامين وتنوعاتها.

فـ (الأدب العربي) يتسع لكل المضامين : الفكرية والأخلاقية، ولا يكون إلا بلغة عربية، لكن (الأدب الإسلامي) يضيق في مضمونه بحيث لا يتسع إلا لما يقتضيه الإسلام من قول أو فعل أو معتقد، ويتسع لغوياً بحيث يكون عربياً وغير عربي، وبهذا يرتبط الأدب الإسلامي بالدلالة فحسب،

بحيث لا يختلف عن الأدب العربي في ثوابت الأدب وشروطه الفنية والشكلية وأسس جمالياته.

(الأدب الإسلامي) كما يؤكد الهويمل، له رسالة وهدف وغاية ومقتضى، وهي مبادئ لا ينفيها الأدب العربي، لكنه لا يلتزم بها ولا يضيق بها كذلك. من هنا، قد يوجد الأدب الإسلامي في نص شعري أو روائي لأديب لا يعرف مصطلح(الأدب الإسلامي) فيأتي بما لم يأت به المتبنون لهذا المصطلح مجتمعين. ويؤكد الهويمل أن حرية التعبير مكفولة في (الأدب الإسلامي) بشرطها، فلا حرية إلا بشرط وضابط وإلا تحولت إلى فوضى. وهذا لا يناقض الإبداع فالمسألة مسألة (اقتناع وتمثل وصدق واقتدار وموقف) كما يقرر الهويمل.

ويختصر الهويمل جوهر مفهوم (الأدب الإسلامي) بقوله: (إن الأدب ذو رسالة إمتاعية إقناعية استمالية، وهو رهين الأنساق الثقافية والاجتماعية السائدة، ومتى فسق عن أنساقه وسياقاته المعتبرة شرعاً وعقلاً دونما وعي بمسؤوليته أصبح وبالاً على أمته).

هذا باختصاروتركيز مفهوم مصطلح (الأدب الإسلامي) عند الهويمل.

والحقيقة أن هذه القضية قد تملكت منه، وانطلقت منها وتمحورت حولها معظم - إن لم يكن جل - آرائه النقدية ومواقفه ومعاركه التي خاضها.

وهذا يجرنا إلى الحديث عن قضية أخرى صال فيها وجال وهي قضية الحداثة التي كان من أشدّ المناوئين لها، وخاض في سبيل موقفه منها معارك كثيرة، لقد رأى الهويمل في تيار الحداثة الجانب المظلم منها، ومنذ ظهرت في أدبنا السعودي خاصة وهو يتوجس منها خيفة، ويراها جسماً غريباً تسلل إلى كياناتنا الأدبية، وسيظل غريباً.

وللهويمل كتيب صدر عام ١٤١٣هـ بعنوان (الحداثة بين التعمير والتدمير) لا يجد فيه القارئ شيئاً ذا بال من الجانب التعميري، بينما أفاض الكتاب بتشخيص الجوانب التدميرية التي يراها الهويمل وبالاً على أدبنا. فهي فكر غربي محض متلوث بماديته ■

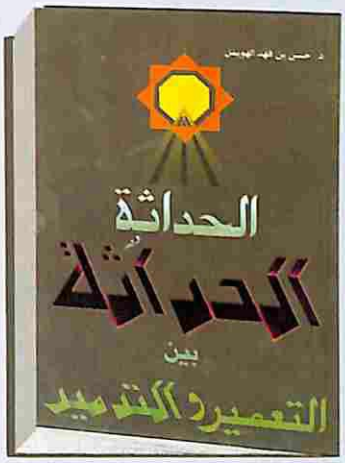

عبق القصيم

أحمد سالم باعطب

عبقُ القصيم يضوعُ ملء فؤادي
حمل الطيوب إليّ من أجدادي
يسري يترجم للقلوب قصائداً
رقراقة الكلمات والإنشاد
يختالُ في أعطافها أزكى شذا
من كل روض بالمحاسن ناد
أصغت لها الأيام حين رأيتها
في الأفق مشرقة الجبين تنادي
يا جنة هذي السهول عرائس
زفت من الأجداد للأحفاد
خضر المروط يلوح في قسماتها
جهد البناة وعزة الأمجاد
في راحتيك قرأت ملحمة الندى
وسقيت ماء حروفها أولادي
وشهدت ينبوع النصيحة دافقا
تزكو به الأرواح في الأجساد
كم بيننا للصالحات وللتقى
مهج مقرحة الشغاف صوادي
أنا يا قصيم ولدت من هذا الثرى
وكتبت أنت شهادة الميلاد
فإذا جحدت فشاهدي عدل النهى
(حسن) الشمائل منصف الرواد
هو ابن بجدتك الذي أبصرت في
نظرائه فذا من النقاد
يغشى ميادين الثقافة فارسا
وله من الإيمان خير عماد
ودليل حبي وانتمائي لهفة
تسري من الأحداق للأكباد
أنى اتجهتُ فأنت فجر مطامحي
أعددت في روض المكارم زادي
سأظل أهتف والصدى ملء الدُنا
عاشت ضياء للحياة بلادي

(الجزيرة/ الثقافية، العدد ١٨٦)